مفكرة

# ولله في خلقه شؤون

يروى عن فلاح فقير من هذه المنطقة العربيه الوافرة الخيرات ، انه عاش حياته ما بعد سن العشرين ، حتى بلوغه الخمسين من العمر ، عاش هذه السنوات بثوب واحد فقط ، لا يملك غيره حتى ولا ملابس داخليه . في النهار يحرث الارض ، ويزرع ، ليمنح الشيخ الذي سلطه سبحانه وتعالى على ابناء القريه . يمنحه كل هذه الخيرات ليعمر ديوانه ، وليصبح حافلا بكل مباهج الحياة ومسراتها ( ولله في خلقه شؤون ) . وقبل ان نتابع ما جرى للفلاح ذي الثوب الواحد . وحتى نعرف ما وصل اليه الشيخ من مكانة مرفهه ، لا بد وان نذكر ان له من الزوجات ، بعدد ايام السنة ، لينام كل ليله مع واحدة . وكان سركال الشيخ لشؤون النساء ، يرفع راية فوق بيت الزوجه التي يكون نصيبها السنوي في تلك الليلة ، حتى يعرف الشيخ البيت الذي يتجه اليه ذلك اليوم . ولا نعرف فيما اذا كانت الزوجة ، تستطيع ان تعيش رغبتها مرة واحدة في العام ( فلله في خلقه شؤون ) .

نذكر هذا حتى نعرف شيئا عن شؤون المنطقه . نذكر هذا طبعا قبل سنوات ، اي قبل ان تحدث التحولات السياسيه في المنطقه وينتسم شؤونها شيوخ جدد . وسنتحدث عن هذه النماذج في ظل التحولات الاشتراكية الجديدة .. الاشتراكية التي لها حكاية طريفة مع صديقنا الفلاح ذي الثوب الواحد .

سمع الفلاح كثيرا من خلال احاديث بعض الذاهبين الى المدينة والعائدين منها . عرف ان الامور اصبحت غير ما كانت عليه . وانه سيأتي يوم يعيش فيه غير هذه الحياة . وكان يحدث زوجته ليلا ، ويطيل معها الحديث عما تحول في حياة الناس ، وان الخير يسري في الارض مثل فيضان النهر ، ومرت سنوات ، وفيضان النهر لم يصل اليه ، وثوبه تزداد فيه الرقع الملونة حتى كاد يصبح ثوبا جديدا لا مثيل له .

قالوا له ان الملوك قضي عليهم ، واصبحت البلدان يديرها ملوك جدد يسمونهم رؤساء جمهوريات . وكان في البدايه يصعب عليه ترديد لفظه جمهوريه ، واستغرق قرابه العام حتى تمكن من ترديدها . ( جمـ .. ـهـ .. و .. ريه ) . وضحك قائلا لزوجته ، نحن بانتظار الجمهوريه . وعندما طال انتظاره ولم تصل اليه الجمهوريه ، صار يسرح كثيرا في احلامه . يوما ، وكعادته ، بعد ان تعب من حراثة الارض خلع ثوبه وعلقه على غصن الشجرة ونزل في النهر يسبح . كان الماء دافئا من وهج الشمس ، فاحس بنشوة ما بعدها نشوة ، وقال مع نفسه بعد ان سرح خياله كثيرا وهو يتطلع الى الحقل المترامي الاطراف : حسنا ، اذا كانت الجمهورية لا تاتي الينا ، فلماذا لا نذهب نحن اليها ؟

وهكذا اتخذ قراره ، واقنع زوجته ، ورحل .. وسرعان ما انتشر الخبر في القريه . طويله هي المسافه للوصول الى الجمهوريه وليس كما كان يعتقد .

قالوا له ارزل . ها قد وصلت .

حركه دائبه . اعمدة ممتده الى السماء وفوقها مصابيح ، اسلاك تلفونات متشابكه . باعة متجولون . نساء مبهرات .. واحس بدوار . وفجاة وقف الى جانبه احد الباعه صارخا في وجهه ان يشتري . كان البائع يحمل في يده علاقات ملابس . لم يفهم الفلاح منه شيئا ، حيث شاهد خشبه ملتويه بشكل لم يفهم معناه ، وفي وسطها سلك حديد معكوف . سال البائع :

— ما هذا ؟

اجاب البائع :

— انها علاقه ملابس .

قال الفلاح :

— وماذا يصنعون بها ؟

اجاب البائع :

— علاقه ملابس . يعلق الناس فيها ملابسهم !

اندهش الفلاح من هذا الامر وتساءل (( يا الهي .. ما هذا .. هل يجوز ان يعلق الانسان ملابسه ويبقى عاريا ؟ ))

كان المسكين يعتقد بان جميع خلق الله يعيشون مثله بثوب واحد . ( ولله في خلقه شؤون ) . عاد ادراجه من حيث اتى دون ان يعطي نفسه فرصه اكتشاف الجمهوريه ، وعطائها . وعندما حدث زوجته والملاحين عن رحلته التي لم يرغب في مواصلتها لم يصدقه احد . كان يقول لهم وجدت الناس يعلقون ملابسهم على خشبه ويبقون عراه .. وكانوا يضحكون حتى ظنوه مجنونا ..

لم يكن الفلاح مجنونا . كان فقط يملك توبا واحدا . وكان اعتقاده صحيحا ، اذ كيف يعلق الناس ملابسهم ويبقون عراة !؟ خطرت هذه الحكايه على بالي ، وانا استمع الى تصريحات السادات بمناسبه تزويد ليبيا باسلحه سوفياتيه حيث علق السادات على ذلك ، بان هذا الامر سيثير استياء اميركا . ( ولله في خلقه تشؤون ) .

وانا اتابع علاقه تشؤون المنطقه بتشؤون اميركا ، تساءلت ، انه بعد كل هذه السنوات ، وما صنعته للناس ، بعدما سمي بالتحولات والانجازات ، ونعرف جميعا ايه حياة قاسيه لا يزال المعدمون يعيشونها ، بعد كل هذا .. هل تستمر اللعبه ؟

لم يتغير شيء .. بل ان كل شيء يزداد سوءا . لان الامور بعد ان كانت واضحه امام العيان ، باتت تدور تحت ظل الاشتراكية . فماذا بوسع الاشتراكيين ان يفعلوا ؟

ان ذلك سيثير استياء اميركا ؟!.

يا الهي ، الا يشعر السيد السادات بالخجل ؟

ان حكاية الفلاح لم تكن طرفه ، مثلما لم تكن طرفه حكاية الشيخ صاحب الـ ٣٦٠ زوجة . انها حقيقة ، لا تزال شبيهاتها في المنطقه ، في حين يسري فيضان النفط باتجاه منطقه الاعداء . ان كل ما يدور في المنطقه باسم الاشتراكيه ، انما هو لعبه سيعرف الجميع ابعادها . ولعل منطق التاريخ سيكون حادا وقاسيا ازاءنا ، اذا نحن لم ندرك دقه المرحلة ، وخطورة اللعبة ، وفظاعة التسويات ، وجود البنود السرية للاتفاقات ، وما بين سطور رسائل الملوك والرؤساء ، المتبادله .

سيكون منطق التاريخ حادا وقاسيا ازاءنا ، اذا نحن لم نستطع ان نغير مجرى النفط باتجاه القرى حتى يعرف ذلك الفلاح في القرى النائيه ، انه اذا ما علق الانسان ثوبه يوما ، سوف لن يبقى عاريا .

وسيكون منطقه صحيحا ، ولا يتهم بالجنون .

سيكون منطق التاريخ حادا وقاسيا ازاءنا ، اذا نحن لم نستطع ان نستوعب حركة الجماهير لاحداث تغيير جذري في المنطقه ، نكشف فيه كل الملفات ، ونقرا بصوت عال بنود الاتفاقات السريه ، وملفات مكاتب المخابرات ، وعمليات البيع والشراء لمواردنا واحرباتنا ولمستقبلنا .

سيكون منطق التاريخ حادا وقاسيا ازاءنا ، اذا نحن لم نستطع ان نسقط الاصنام بمنادفنا عريحه على اثارة استياء اميركا اكثر واكثر .

يوما ، سوف لن يكون هنالك في المنطقه من يجرؤ على التصريح ان ذلك سيثير استياء اميركا .. اما الان ..

فلله في خلقه تشؤون !